المُحْتوَى اللهجي في كِتَاب (النَّوَادر في اللغَة) لأبي زَيْد الأَنْصَاري

د. عزمي محمد "عيال سلمان"

قسم اللغة العربية – جامعة نجران

د. جمال دليع العريني

قسم اللغة العربية – جامعة البلقاء التطبيقية

مُلخَّص

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء الظواهر اللغوية المنسوبة إلى لهجاتها في نوادر أبي زيد الأنصاري، فقد جمع (كتاب النوادر) ظواهر لهجية مُوَزَّعة بين مستويات اللغة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية. وجدير بمثل هذه الإشارات اللهجية المتناثرة في كتاب النوادر أن تعطي للهجات العربية القديمة حدودَها وصفاتها الخاصة ضمن حدود اللغة.

والوقوف على مثل هذه الظواهر اللهجية يُمدُّنا بثروة لغوية غنية، نستطيع من خلال دراستها وتحليلها استخلاص طبيعة تلك الظواهر، وما يتبع ذلك من الوصول إلى نتائج إيجابية في معرفة هذه اللهجات وعلاقتها بالتطور التاريخي للعربية الفصيحة.

الكلمات الدالة (الظاهرة اللهجية، التطور اللغوي، الأداء الاستعمالي، النوادر، القبائل).

مقدمة:

إنَّ وجود اللغة المُشترَكة واللهجات المحلية في اللغات أمر تُحتِّمه الضرورة الاجتماعية وما تقتضيه من تفاوت في مُستوى الاستعمال وحاجاته، تَبَعاً لحاجة الناطقين أنفسهم لاستخدام اللغة في المواقف العامة والراقية، أو مواقف الحياة العادية والخاصة بالبيئة المحلية(١).

ودراسة اللهجات المختلفة في اللغة الواحدة من وجهة نظر علم اللغة الحديث تُساعِد على فهم طبيعة تلك اللغة، ومراحل نُشوئها، وتطورها، وبيان تاريخها، والكشف عن نقاط التأثر والتأثير بينها وبين المستويات اللهجية الأخرى، فعلماء اللغة يرون في دراسة اللهجات إمكانية صياغة مبادئ التطور الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي للغة المشتركة، ولهذا كانت دراسة اللهجات العربية القديمة من الحقول المهمة في دراسة اللغة العربية وتاريخها ومراحل تطورها(٢).

ويذهب (فيشر) إلى أن اللهجات العربية القديمة تتضمن مادة قيمة للغاية بالنسبة لتاريخ اللغة العربي، فبعض الظواهر اللهجية المروية تُقرِّب العربية من اللغات المجاورة السامية اقتراباً شديداً، وبعضها الآخر يوضح أن اللهجات العربية الحديثة لها جذورها في اللهجات العربية القديمة(٣).

ومن ذلك يُعلم أن البحث في اللغة لا يقتصر على مُستوى دون آخر، بأنْ يوجَّه الاهتمام للفصحى فقط أو يوجه الاهتمام إلى اللهجات فقط، فكلا المستويين

---

(١) انظر: عيد، محمد: **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١م، ص٨٩.

(٢) انظر: النجار، عبدالحليم: "في القراءات القرآنية"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الأول، ص١٠٥؛ المطلبي، غالب فاضل: **لهجة تميم وأثرها في العربية المُوحَّدة**، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م، ص٣٢.

(٣) انظر: فيشر، فولديتريش: **دراسات في العربية (أصولها . مراحلها التاريخية . بنيتها . لهجاتها . علاقاتها بأخواتها الساميات)**، نقلها إلى العربية وعلق عليها: سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١١٦.

جدير بالبحث والنظر باعتباره نشاطاً اجتماعياً للناطقين باللغة من جهة، ولِما تُفيده الدراسة في كلا المستويين من الآخر من جهة أخرى، ولكن مع ذلك ينبغي تجنب الخلط بين المستويين في الدراسة، فإن لكل منهما مجال استعماله الخاص ونظامه المُتَمَيِّز.

ويبدو أن الذين يعارضون دراسة اللهجات إشفاقاً على الفصحى يَلْتَبِس عليهم الأمر في التفريق بين الدراسة والاستعمال الفعلي للغة؛ إذ يتصورون أن دراسة اللهجات والاهتمام بها يؤدي إلى إضعاف الفصحى وإهمالها، والأمر على عكس هذا التصور تماماً؛ إذ تؤدي دراسة كل منهما إلى فوائد مُحقَّقة بالنسبة للأخرى، وتبرز هذه الفائدة بصورة واضحة في فهم التطور التاريخي لكل من الفصحى ولهجاتها، بمعرفة مدى ما أفادته كل منهما من العناصر اللغوية في الأخرى، وما تمثلته من ذلك فَقُدِّر له الانتشار والبقاء، وما استعمل في إطار محصور بين فرد أو أفراد، فانزوى ثم توارى في ظلال النسيان(١).

اللهجات العربية في كتب التراث:

يجب أن نُدرِك قبل كلِّ شيء أن تدوين المادة الخاصة باللهجات، كان بالنسبة إلى علماء العربية القُدماء عملاً ثانوياً، لم يَدخُل في نِطاق هدفهم الحقيقي الذي يَتَمثَّل بوضع قواعد اللغة العربية الفصيحة وتنظيمها، وقد وجَّهوا نظرهم إلى اللغة من زاوية الفصحى فقط، فأهملوا بذلك الواقع الاجتماعي للغة، وظلَّ ما لدينا

(١) انظر: عيد: **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر**، ص٩٠، ٩١.

عن اللهجات قاصراً عن إعطاء صورة كاملة مفيدة عن استعمالها وتطورها، وكل ما جمعوه من مادة عن اللهجات كان يُقاس بالنظر إلى الفصحى[١].

والذي حداهم إلى هذا الصنيع هو تقديسهم للعربية الفصحى، فهي أشرف اللغات؛ إذ بها نزل القرآن الكريم، وبها تُقام الصلاة، وما إلى ذلك من شعائر دينية إسلامية، فكان أنْ انطلقوا من هذه النظرة إلى أن كل ما يُخَالِف العربية الفصيحة في نطقها للأصوات كان من الصور اللغوية الفاسدة؛ لذا لم تحظ عندهم اللهجات العربية القديمة ببعض ما حظيت به الفصحى من تدوين ودراسة[٢].

وليس الأمر في عدم اهتمام علماء العربية القدماء بدراسة اللهجات يعود إلى ما ذهب إليه (رابين) بقوله: "إن اللغويين العرب لم يَعْتَبِروا اللهجة كياناً خاصاً قائماً بذاته، بل طائفة من الاستعمالات الغريبة التي تختلف عن الفصحى"[٣].

---

(١) انظر: رابين، حاييم: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ترجمة: عبدالرحمن أيوب، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٦م، ص٢٩. ٤٠؛ عيد: **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر**، ص٩٢.

(٢) انظر: المطلبي: **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة**، ص٣٤. يرى أنيس فريحة أن لغويي العرب نظروا إلى اللهجة على أنها انحطاط لغوي من اللغة الفصحى، وقد أثبتت دراسة اللهجات وبطريقة لا يتسرب إليها الشك أن اللهجة قد لا تكون تقهقراً ولا انحطاطاً لغوياً، بل تطوراً لغوياً فرضته النواميس الطبيعية التي تتحكم بمصير كل لغة، وأفضل دليل على أن اللهجات ليست انحطاطاً لغوياً في كل الأحوال، هو كون بعضها سابقاً في الزمن للغة الفصحى. خذ مثلاً كسر حرف المضارعة في العامية، فإننا نقول: (بِكْتِب بِشْرَب)، وهذه لغة قديمة سابقة في الزمن للفترة التي اعتبرت فيها لغة قريش اللغة الأدبية الفصحى، فكيف يحق لنا أن نعتبر هذه الظاهرة .كسر حرف المضارعة . انحطاطاً لُغوياً؟، انظر: فريحة، أنيس: **محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها**، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٤٠، ٤١.

(٣) انظر: رابين: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٤٠.

والذي دعا الباحثين إلى عدم قبول ما ذهب إليه (رابين) هو أن الترادف بين مُصطَلَحَي (لهجة) و(لغة) معروف لدى القدماء[1]، بيد أن مصطلح (لغة) شاع استعماله في كتبهم وأهمل مصطلح (لهجة)، وعلماء العربية عندما يُشِيعون هذا الاصطلاح يُدرِكون تماماً أن كل لهجة لغة قائمة بذاتها، بنظامها الصوتي والصرفي والنحوي، وبمقدرتها على التعبير.

واللهجة إذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغني عن أصلها، وتفي بحاجة الجماعة التي تتحدث بها أمكن أن تُسمَّى (لغة)، وذلك حين تنضج قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية والتركيبية بحيث تجتمع لها عناصر الإفادة الكاملة والتعبير السليم، كاللهجات العربية القديمة؛ فقد أطلق عليها علماء اللغة القدماء اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها[2].

ومع أن علماء العربية القدماء قد انصرفوا عن تسجيل اللهجات القديمة وأصواتها في دراسات مستقلة، فلم يردنا منهم في هذا المجال سوى ملاحظات عامة وإشارات عابرة، إلا أنه يُمكننا القول بأنهم قد تفاوتوا في هذا الجانب، فكتب النحو لم يرد فيها من اللهجات سوى ما وجد منها في اللغة الأدبية الفصيحة، وقد

---

(١) لقد كان مدلول اللهجة عند القدامى من علماء العربية يُعبَّر عنه أحياناً بمصطلح اللغة وأحياناً باللحن، ففي تحديد بيئي خاص نجد عبارات مثل: وتلك لغة قوم أو لغة أهل العالية، ولغة أهل الحجاز، وهم يعنون بمقصود اللغة ما نعنيه باللهجة اليوم، ونجد منهم في مقام آخر من يقول في معرض الجواب عن مسألة نحوية: ليس هذا لحني ولا لحن قومي؛ أي ليست هذه لهجتي ولا لهجة قومي. انظر: السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج٢، ص٢٧٧؛ الصالح، (صبحي): **دراسات في فقه اللغة**، ط١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٧٥؛ عبدالتواب: رمضان: **لحن العامة والتطور اللغوي**، (د.م)، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٩. ٢٣؛ كشك، أحمد: **اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١١٧، ١١٨.

(٢) انظر: هلال، عبدالغفار حامد: **اللهجات العربية نشأة وتطوراً**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٨.

عالج النحاة بعض هذه الظواهر اللهجية لورودها في الشعر الصحيح أو القرآن الكريم، ومن ثم كان لا بد من شرحها، وكان النحاة في مثل هذه الحالة يكتفون بالقول: إن النمط جاء على لغة الشاعر، أو بأنه ورد طبقاً للهجة معينة.

وقد يضطر النحاة عندما يواجهون التعبيرات الفصيحة التي يجوز فيها غير وجه إلى تعليل هذا التعدد بأن كل وجه منه يُمثِّل لهجة ما، وكانوا إذا صادفوا تركيباً من لهجة ما لا يتسق مع القاعدة، أو مع ما سمعوه من أحد أبنائها أعلنوا على الفور انتماء التركيب إلى هذه اللهجة، وهم بهذا الصنيع قد أصبح لديهم وسيلة سهلة لتفسير ما يخرج على القواعد التي استنبطوها ودوَّنوها بأنفسهم.

في حين نجد أن الأمر مختلف نوعاً ما لدى مؤلفي كتب اللغة والمعاجم، فهم أكثر اهتماماً بالمفردات والأنماط التي تنتمي إلى اللهجات، ولكن ليس من الممكن معرفة سببٍ خاصّ لهذا الاهتمام، ومن الواضح أنهم لم يُحاولوا في تصنيفهم أن ينظموها أو يبوبوها تبويباً يخدم هدفاً خاصاً[1].

المُحْتوى اللهَجي في كُتُب النَّوَادر:

بدأ التأليف في نوادر اللغة وغرائبها في أواسط القرن الثاني من الهجرة، أي في الوقت الذي نهض فيه رواة اللغة وعلماؤها لتدوين اللغة العربية، ونشطوا لجمعها في الكتب، وعلى هذا يُمكن أن يعد تدوين (النوادر) وتأليف الكتب فيها جزءاً من الحركة الواسعة التي شملت تدوين اللغة في هذا الدور[2].

وقد كثر التأليف في النوادر إلى درجة أننا لا نجد لُغَوياً في ذلك العصر المبكر، إلا وله في (النوادر) كتاب أو أكثر، وقد بقي من هذه المصنفات كتاب

---

(١) انظر: رابين: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٢٩ . ٣٦.

(٢) انظر: أبو مِسْحَل، عبدالوهاب بن حَريش: **كتاب النوادر**، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م، ج١، ص٢٤.

أبي زيد، وهو أقدم كتاب من هذا النوع باق عندنا، وينقسم الكتاب إلى خمسة عشر باباً، ثلاثة منها خاصة بالشعر وسبعة بالرجز وخمسة بالنوادر، وبقي أيضاً كتاب النوادر لأبي مِسْحَل الأعرابيّ عبدالوهاب بن حَرِيش، توفي في أواخر القرن الثالث الهجري، وهو تلميذ الكسائي، وكتابه كبير في جزأين، نشره عزة حسن في دمشق سنة ١٩٦١م، وكتاب النوادر لأبي إسماعيل بن القاسم القالي (ت: ٣٥٦هـ)، وهو كتاب في النوادر الأدبية لا اللغوية، فهو كتاب أدب وأخبار، ومحاورات أكثر منه كتاب لغة.

والمادة اللغوية الواردة في كتب النوادر تُمثِّل اللهجات العربية المشهورة والمغمورة في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلاً جيداً. وليست كل الألفاظ الواردة في كتب النوادر نادرة أو غريبة كما تُوهِم عنواناتها، فهي تُورِد النادر الشاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منها، وكثير من الألفاظ التي وردت فيها لا يمكن أن تعد من نوادر اللغة وغريبها، بل تكاد تكون من أفصح الفصيح وتشهد بذلك كتب النوادر نفسها[1].

ولم يسر مؤلفو كتب النوادر في جمعهم اللغة على نظرية وحدة اللغة، فلم يخلطوا بين مستويات الأداء اللغوي واللهجي دون تفرقة بين ما ينسب إلى لهجة من اللهجات القبلية من الألفاظ النادرة وما ينتمي إلى اللغة الفصيحة، فلم يعدّوا الكل لغة واحدة محددة الخصائص متّحدة المستوى.

---

(١) انظر: السعودي، أحمد عطية و(عيال سلمان)، عزمي محمد: "النوادر في اللغة العربية"، **المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، المجلد السادس، العدد الأول، سنة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٢٤، ١٢٥.

وقد كان علماء اللغة ممن اهتموا بتصنيف (كتب النوادر) حُرصاء على حصر الأنماط اللهجية التي تنحرف عن العربية الفصيحة، مِمَّا جعل كتب النوادر مصدراً مُهمّاً لدراسة اللهجات العربية القديمة[1]؛ إذ توجد فيها مادة خِصْبَة لهذا الحقل من الدرس اللغوي، فهي كثيراً ما تعزو اللهجات إلى أصحابها، فإذا فَقْدنا هذا العزو وجدناه في تحديدها لقبيلة الشاعر، حيث يقول أبو زيد مثلاً: (قال فلان من تميم أو فلان الهذلي، أو راجز من حِمْيَر ...إلخ).

والناظر في كتب النوادر يجد أن الألفاظ النادرة الواردة فيها ما هي إلا أنماط استعمالية للهجات قبائل متعددة، قد خالفت ما قدمه علماء اللغة من وصف للعربية الفصيحة، وليس شرطاً أن تكون هذه القبائل مغمورة، فقد تكون من القبائل العربية المشهورة التي أخذت عنها اللغة، نحو: تميم، وأسد، وقيس، وهذيل، وطيّئ...إلخ.

ويغلب على هذه الأنماط النادرة أنْ تكون استعمالات خاصة تصدر عن أفراد لهم ولوع بالألفاظ القديمة التي كانت تصدر عن الأجيال السابقة كما هو مشاهد اليوم في اللهجات الدارجة؛ إذ نجد أفراداً قلائل في كل بيئة لُغوية يُحيون تلك الألفاظ القديمة التي لم تعد تستعمل على المستوى العامّ بالنسبة للناطقين باللهجة نفسها، حتى إذا نطقوا بمثل هذه الألفاظ النادرة بدت كأنها غير مألوفة للأجيال اللاحقة من أبناء البيئة اللغوية نفسها.

ومن هؤلاء الذين روى عنهم أبو زيد، وذكر أسماءهم: العكلي، وأعرابي يقال له العلاء، والحرمازي، وأبو العامرية النميري، وأبو محرز، وأبو الصقر،

---

(١) انظر: الراجحي، عبده: **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٥٦.

والغاضري، وأبو الحجاج، وأبو الضبيب وابنه، وأبو سحيم، وأبو السياح، وأبو السمح، والصقيل، وأبو المضاء، وأبو قرة[١].

وقد عمد الباحثان في هذه الدراسة إلى استقصاء الظواهر اللغوية المنسوبة إلى لهجاتها في نوادر أبي زيد الأنصاري، فقد جمع كتاب النوادر ظواهر لهجية متعددة تمدنا بثروة لغوية غنية، نستطيع من خلالها أن نصل إلى الحد الأدنى من الظواهر اللهجية القديمة ودراستها وتحليلها وما يتبع ذلك من الوصول إلى نتائج إيجابية في معرفة هذه اللهجات وعلاقتها بالتطور التاريخي للعربية الفصيحة؛ إذ من شأن البحث في مثل هذه الظواهر أن يجعل اللغوي يُفكِّر في مجال أوسع[٢]، أما تلك الظواهر غير المنسوبة إلى لهجة معينة، فليس من شأن الدراسة البحث فيها والوقوف عليها.

ويبدو أن أبا زيد له اهتمام برصد الأنماط اللغوية التي تنحرف عن العربية الفصيحة ليس في كتاب النوادر فقط، وإنما في كتب أخرى، فقد نَسَبتْ له بعض كُتب التراجم مُصَنَّفين، أحدهما يحمل عنوان: (لغات القرآن)، والآخر: (كتاب اللغات)، ولمَّا كان هذان الكتابان مفقودين، فإننا لا ندري إن كانا مُؤلَّفين عن اللهجات أو غيرها من الموضوعات اللغوية[٣].

---

(١) انظر: أبو زيد: سعيد بن أوس (ت: ٢١٥هـ): **النوادر في اللغة**، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ١٩٨١م، ص٧٠.

(٢) انظر: رابين: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٣٢.

(٣) انظر: القفطي، علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج٢، ص٣٥؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت: ٩١١هـ): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م، ج١، ص٥٨٣.

وأبو زيد من علماء اللغة الأثبات الذين يوثق بكل رواياتهم[١]، وبناء على هذا فليس أمامنا إلا أن نقبل نسبة المادة اللهجية الواردة في نوادره، ويرى (رابين) أنه "يجب أن يحذر الإنسان بصفة خاصة من أن يرفض صيغة ما لمجرد عدم العثور على مثيلات لها، فقد يتضح أن بعض ما ظنه غير مقبول يقوم في الواقع على أساس سليم"[٢]، وما جاء به (رابين) أصل يجب الاعتماد عليه في الدرس اللغوي المتعلق باللهجات؛ إذ إن معظم الظواهر اللهجية الواردة في كتب التراث قد مُثِّل عليها بأنماط فردية يتيمة تتكرر نفسها في معظم المصادر.

ومما يُعطي البحث في الظواهر اللهجية الواردة في كتاب النوادر قيمة عالية اتصالُ أبي زيد شخصيّاً بالناطقين بهذه اللهجات؛ إذ نجد عبارات سيقت في الكتاب تُشعِر أن أبا زيد قد اتصل اتصالاً مباشراً بِمُتكلِّمِي اللهجة التي يُشير إليها، ومن ذلك قوله: (سَمِعتُ أعرابياً من بني تميم يقول)[٣]، وقوله: (سَمِعتُ بعض العجلانيين يقول)[٤]، وقد ينقل لنا أبو زيد معلومات هامة ودقيقة عمّن يحكي عنهم، وذلك نحو قوله: (قال رجل من بني ضَبَّة هَلَك مُنذُ أكثر من مئة سنة)[٥].

---

(١) قال السيرافي: كان أبو زيد يقول: كلَّما قال سيبويه: (أخبرني الثِّقة)، فأنا أخبرته به، ويقول السيرافي أيضاً في (أخبار النحويين البصريين): كان أبو زيد كثير السماع من العرب، ثقة، مقبول الرواية. انظر: السيرافي، الحسن بن عبدالله (٣٦٨هـ): **أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وإخبار بعضهم عن بعض**، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٦٨؛ السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ج١، ص٥٨٢.

(٢) رابين: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٣٨.

(٣) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٣٣٠ . ٣٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص٣١١.

(٥) المصدر نفسه، ص١٦٨.

وقد التزم الباحثان في هذه الدراسة وصف الظواهر اللهجية الواردة في نوادر أبي زيد دون المفاضلة بينها وبين غيرها من اللهجات بالاستحسان أو بالاستهجان، فمهمة الباحث في اللغة أن يصف ما أمامه فقط، فيستقرئه دون أن يتجاوز ذلك إلى وصفه بالجودة أو الرداءة، فإذا كانت الظاهرة المستقرأة مطردة ذكر ذلك، وإذا تفرد عنها بعض الأمثلة ذكرها أيضاً بحياد وموضوعية، أما إذا نص الدارس في استقرائه اللغة على الاستحسان أو الاستهجان، فقد أقحم على موقفه الوصفي معنى دخيلاً يتعلق بآرائه الشخصية أو إحساسه تجاه الاستعمال، وهو مرفوض من وجهة النظر الحديثة؛ إذ يجب على الباحث ـ كما يقول (دي سوسير) ـ أن يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، آخذاً في اعتباره أن كل لغة أو لهجة نظام اجتماعي يحقق الصلة بين الناطقين به، وعليه أن يصف خصائص هذا النظام فقط[1].

وعلم اللهجات (Dialectology) فرع من فروع علم اللغة يعنى بتحليل التنوعات المحلية أو الاجتماعية أو الزمنية للغة معينة ووصفها، مبيناً كيف تختلف هذه التنوعات في النطق أو في القواعد (صرفية أو نحوية) أو في المعجم، وكيف تتوزع هذه التنوعات الجغرافية[2].

وتَتَمَيَّز كل لهجة من اللهجات بصفات معينة من حيث: نوعية الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، وتتميز أيضاً بصفات معينة ترجع إلى بِنْية الكلمة، أو معاني بعض الكلمات ودلالتها، ويغلب على هذه الصفات الخاصة ـ السالفة الذكر ـ التي مرجعها إلى بِنْية الكلمات ودلالتها أن تكون محدودة للغاية، بحيث لا

---

(١) انظر: عيد: **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر**، ص٩٥، ٩٦.

(٢) انظر: عبدالعزيز، محمد حسن: **مدخل إلى علم اللغة**، ط٢، دار النمر للطباعة، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٥٥.

تنحرف باللهجة بعيداً عن غيرها من اللهجات، وبالتالي تصبح صعبة الفهم بالنسبة إلى أبناء اللهجات الأخرى داخل اللغة الواحدة؛ إذ إنه كلما ازدادت هذه الصفات الخاصة انحرفت اللهجة بعيداً عن غيرها من اللهجات، حتى لا تلبث أن تستقل، وتصبح لغة قائمة بذاتها[١].

وقد تبيَّن بعد البحث والتنقيب أن كتاب النوادر لأبي زيد يحتوي على بعض الظواهر اللغوية المعزوة إلى لهجة بعينها يُستَطاع من خلال تحليلها ودراستها استخلاص طبيعة تلك الظاهرة، وقد جاءت هذه الظواهر مُوَزَّعة بين مستويات اللغة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية. وهي على هذا النحو:

١. المستوى الصوتي:

تؤدي الاختلافات الصوتية دوراً كبيراً في تعدد اللهجات وتنوعها؛ ذلك أن العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان، مما يجعلنا نُقرِّر أن أكثر الفروق اللهجية الواردة في كتب التراث اللغوي هي فروق صوتية، و"لأن مُمَيِّز اللهجة عن أُختها صوتي في معظمه، فقد حظيت المصادر اللغوية التي تناولتها بقيم صوتية قابلة للدرس باعتبارها ظواهر مُخالفة أو خروجاً على مسار الفصحى، فقد جاء في كتب التراث اللغوي حديث عن (عنعنة) تميم، و(كشكشة) أسد، و(كسكسة) ربيعة"[٢].

والاختلاف الصوتي بين اللهجات يرجع إلى: اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية، أو اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف وتفخيمه عند القبائل المختلفة، أو اختلاف في مقاييس بعض

---

(١) انظر: عطية، نوال محمد: **علم النفس اللغوي**، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢٤، ٢٥.

(٢) كشك: **اللغة والكلام**، ص١٢٠.

أصوات اللين، أو تباين في النبر أو النغمة الموسيقية أو النظام المقطعي للكلام، أو اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حيث يتأثر بعضها ببعض فيميل إلى المماثلة أو المخالفة[1]، وقد جاءت الظواهر اللهجية المتعلقة بالمستوى الصوتي في نوادر أبي زيد على هذا النحو:

أ. لهجة بَكْر بن وائل:

بَكْر بن وائل قبيلة عظيمة من العدنانية، وتَنْتَسِب إلى بكر بن وائل بن قَاسِط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعميّ بن جَدِيلة بن أسَد بن نِزَار بن مَعَد بن عدنان، وبَكْر هو أخو تَغْلِب، وتَنْقَسم بكر بن وائل إلى بطون كثيرة، منها: بنو يَشْكُر، وبنو عُكَابَة، وبنو حَنِيفَة، وبنو عِجْل. وكانت تَقْطُن اليَمَامَة والبَحْرَين وسَواد العِراق، ثُمَّ إنها تقدَّمتْ في العِراق نحو الشمال الغَربيّ حتى وصَلوا إلى ما يُعرَف اليوم بـ(دِيار بَكْر) في الجَنوب الغَربيّ من تُركيَّا[2].

ومن الظواهر اللهجية الصوتية التي نُسِبتْ إلى قبيلة بكر بن وائل قول أبي زيد: "قال رجل من بكر بن وائل: أخذتُ هذا مِنْهُ يا فَتَى ومِنْهِما ومِنْهِمِي، فكسر

---

(١) انظر: المطلبي: **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة**، ص٣٠، ٣١؛ هلال: **اللهجات العربية نشأة وتطوراً**، ص٢٨.

(٢) انظر: الهمداني، الحسن بن أحمد (ت: ٣٣٤هـ): **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن عبدالله النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣م، ص١٦٩؛ ابن حزم، محمد علي بن أحمد (ت: ٤٥٦هـ): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٠٢- ٣٢٩؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت:٨٢١هـ): **قلائد الجمان**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٣٠، ١٣١؛ الروضان، عبد عون: **موسوعة القبائل العربية**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م، ج١، ص٨٨ . ١٠١.

الاسم المُضْمَر في الإدْرَاج والوَقْف. قال: وقال: ولَمْ أعْرِفْهِ ولم أضْرِبْهِ، فكسر كل هذا، وقال: (عَليكُم)، فضم الكاف، وقال: لَمْ أضرِبهِمَا، فكَسَر الهاء مَعَ الباء"[١].

وهذا القول منقول بنصه من طبعة محمد عبدالقادر أحمد . وهي الطبعة المُعْتَمَدَة في هذه الدراسة . حيث ورد الضمير الغائب المفرد في شبه الجملة (منه) مبنياً على الضم، أما في طبعة سعيد الشرتوني، فقد جاء هذا الضمير مبنياً على الكسر[٢]، ولعل الضبط الذي يتوافق وفحوى النص هو بناء الضمير على الكسر كما هو وارد في نشرة الشرتوني؛ إذ لا يُعقَل أن يَنطِق صَاحِبُ السَّليقةِ الأداء اللغوي الواحد ضمن نمطين مختلفين، فتارة يبني ضمير الغائب على الكسر، وتارة أُخرَى يبنيه على الضم.

ويُطلق على هذه الظاهرة المروية عن قبيلة بكر بن وائل لقب (الوَهْم)، وقد عزاها بعض العلماء إلى قبيلة كلب[٣]، واللغة الفصيحة تُبْقِي الحركة الأصلية لهذا الضمير، وهي الضم، إلا إذا وقع بعد كسرة قصيرة أو طويلة أو ياء، وذلك بسبب قانون المماثلة بين الحركات، أما قبيلة بكر بن وائل وبنو كلب، فإنهم يطردون الباب على وتيرة واحدة، فيكسرون هاء ضمير الغائب مطلقاً، ويُجرون القياس على ذلك في ما لم يستوف هذا الشرط[٤].

---

(١) أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٤٧١ . ٤٧٢.

(٢) انظر: أبو زيد: سعيد بن أوس (ت: ٢١٥هـ)، **النوادر في اللغة**، تحقيق: سعيد الخوري الشرتوني، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م، ص١٧١.

(٣) انظر: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، (ت:٩١١هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٢٢.

(٤) عبدالتواب، رمضان: **فصول في فقه العربية**، ط٦، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٥٢– ١٥٣.

ب. لهجة بني كلاب:

تَنْتَسِب بنو كلاب إلى هَوَازن، وهوازن فصيلة من قبيلة قيس عيلان، وتُنْسَب قيس عيلان إلى مضر، ومضر بطن من نزار العدنانية[١]، ودِيار بني كلاب في جِهات المدينة النبوية وفَدَك والعوالي، ثُمَّ انتقلوا بعد ذلك إلى الشَّام، وملكوا مدينة حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشَّام[٢].

ومن الظواهر اللهجية الصوتية التي جاءت في كتاب النوادر لأبي زيد منسوبة إلى بني كلاب: قبول أبي الحَسَن: "أنشدتني أَعْرَابيةٌ مِن بني كِلاب[٣]:

فَـــتَعَلَّمْنَ وإنْ هَوِيْتُـــكَ عَنَّنـــي قَطَّـــاعُ أرْمَـــامِ الحِبَـــالِ صَـــرُومُ

فَقُلتُ لها: ما هذا؟ فقالت: هذه عَنَّتُنا. وبعضهم يقول: عَنْعَنة بني فلان، فكما أُبدِلتْ الهاء من الهمزة لقُربها منها في المخرج أُبدِلتْ منها العين؛ لأن العلة واحدة قال أبو زيد"[٤].

ونجد هنا أن أبا زيد ينسب (العنعنة) إلى بني كلاب خاصة من بين قبائل قيس، مع أن المصادر الأخرى تَنْسِب هذه الظاهرة إلى جميع قبائل قيس، وإلى تميم وأسد ومن جاورهم، وإن اشتهرت بإضافتها إلى تميم[٥].

---

(١) القلقشندي: **قلائد الجمان**، ص٦٠ . ٦١.

(٢) ابن حزم: **جمهرة أنساب العَرَب**، ص ص١٩٦، ٢٨٢؛ القلقشندي: أبو العباس أحمد (ت: ٨٢١هـ): **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٤٠٧؛ الروضان: **موسوعة القبائل العربية** ج٢، ص٤٧٤ . ٤٧٩.

(٣) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٢٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠٢ . ٢٠٣.

(٥) عبدالتواب: **فصول في فقه العربية**، ص١٣٥.

وهذا الإبدال بين الهمزة والعين عام في كل همزة، وإبدال الهمزة عيناً هنا نوع من المبالغة في تحقيق الهمزة كما يستفاد من قول ابن دريد: "وخَبَعَ الرجل في المكان إذا دخل فيه، وأحسب أن هذه العين همزة؛ لأن بني تميم يحققون الهمزة، فيجعلونها عيناً، فيقولون: هذا خِباعُنَا، يُريدون خِبَاؤنا"(١).

وتحقيق الهمزة مُحاولة من هذه القبائل البدوية للجهر بالصوت، فحين يُبالَغ في هذا التحقيق، ويُراد أن تكون الهمزة أوضح في السمع يُستبدَل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجاً وصفة، وأقرب أصوات الحلق المجهورة إليها هو العين.

والسبب في ذلك أن البيئة الصحراوية التي تنتشر فيها الأصوات في مسافة شاسعة لا يعوقها عائق تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات بِطُرق عدة من بينها الجهر بالصوت؛ ليصبح أكثر وضوحاً في أذن السامع، في حين أن غيرها من قبائل الحضر تُبقي على هَمْسِها(٢).

ج. لهجة القُشَيْرِيين:

بنو قُشَيْر بطن من عامر بن صَعْصَعَة من هَوازِن من العدنانية، وهم بنو قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن ابن مقصور بن عكرمة بن خَصْفَة بن قيس عيلان بن مُضَر بن نِزار بن معد بن عدنان، ومن قُشَير جاء ربيعة ومعاوية وسَلَمة الخير، وأمهم الخنساء بنت علي ابن ثعلبة بن بَجِيلة، وسَلَمة الشر والأعور وقُرْط ومُرَّة(٣).

---

(١) ابن دريد، محمد بن الحسن (ت:٣٢١هـ): **جمهرة اللغة**، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٤٤هـ، مادة: (بخع)، ج١، ص٢٣٧.

(٢) أنيس، إبراهيم: **في اللهجات العربية**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٩٤ . ١٠١.

(٣) القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ص٣٩٩؛ الروضان: **موسوعة القبائل العربية**، ج٢، ص٤٦٣ . ٤٦٦.

وقد نَسَب أبو زيد في نوادره إلى القُشَيْريينَ قولهم: "(جِئْتُ فُلاناً لَدَنْ غُدْوَةً)، فَفَتحوا الدال، وقال بَعْضُهم: (لَدَا غُدْوَةٍ)، فأضاف، وجَزَم الألف"[1].

وقد ذكر عُلماء اللغة أن في (لدى) ثماني لُغَات هي: (لَدَى)، و(لَدَنْ)، و(لَدُنْ)، و(لَدُ)، و(لَدْنِ)، و(لُدْنِ)، و(لَدْ)، و(لُدْ)[2]، وكل لغة من هذه اللغات تنتسب إلى بيئة لُغويَّة معينة تختلف عن الأُخرى، وقد جاءت هذه اللغات في مُعظم كُتب التراث غير منسوبة إلى أصحابها، إلا ما نراه في نوادر أبي زيد، حيث يَنسِب (لَدَنْ) و(لَدَا) إلى بني قُشَيْر.

ويرى الباحثان أن الأصل في هذه اللغات المُتعدِّدة هو (لَدَّ)، وبفعل القوانين الصوتية المُختلِفة نشأت هذه اللغات، وفيما يخُصّ اللغة المنسوبة إلى بني قُشَيْر نرى أنه بفعل قانون المخالفة بين المتماثلين نشأ هذا النمط اللهجي، فاللغة تميل إلى قلب أحد المُتَماثلين إلى صوت من أصوات العلة، أو إلى صوت من الأصوات المتوسطة، وهي: (اللام، والنون، والميم، والراء)، وبفعل هذه المخالفة بين المتماثلين نشأ كل من (لَدَنْ) و(لدا).

د. لغة اليمن:

كانت لغة اليمن القديمة إحدى اللغات السامية، وقد ظلت حتى أوائل القرن السادس للميلاد تقريباً اللغة السائدة في جنوبيّ الجزيرة العربية، وعُرِفَت عند علماء اللغات السامية بلغة جنوبيّ الجزيرة أو لغة المسند، وتتكون من لهجات عدة هي: اللهجة المعينية، واللهجة الحضرمية، واللهجة القتبانية، واللهجة السبئية. وهناك من يضيف إليها اللهجة الحميرية بصفتها لهجة مستقلة بذاتها، في حين أنها هي

---

(١) أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٤٧٢.

(٢) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي (ت: ٦٤٣هـ)، **شرح المُفصل**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠١م، ج٣، ص١٢٧.

اللهجة السبئية نفسها كما تدل على ذلك النقوش التي عُثِر عليها في كل من مأرب وظفار.

يَسُودها صراع لُغَويّ شديد، كان ذلك الصراع بين اللغة اليمنية القديمة (العربية الجنوبية، لغة المسند) . وهي التي أطلق عليها اللغويون العرب القدماء لغة حمير . وبين العربية الشمالية (الفصحى) التي بدأت حينذاك تنتشر في أنحاء الجزيرة العربية، وتفرض سيادتها جنوباً وشمالاً، وقد أسفر هذا الصراع عن تأثير كبير وتطور ملموس في لغة اليمن، ويُمكن القول بأن اللغة اليمنية القديمة بدأت بعد ذلك في التلاشي، وفي أوائل القرن الأول الهجري أخذت تسير في طريقها إلى الانقراض التام.

وكان لدخول اليمن في الإسلام أكبر الأثر في تلاشي تلك اللغة واندثارها خلال برهة يسيرة من الزمن، وهذه اللهجات المنتشرة في اليمن تُعتبَر فروعاً لهذه اللغة الجديدة إلا من بعض المفردات اللغوية القديمة التي نجدها بين حين وآخر في لهجات المنطقة الشرقية من صنعاء، وكذا ما نجده من بعض القواعد القديمة مثل: (إم) الحميرية، والكاف التي كانت تقوم مقام (لام التعليل) تارة و(لمَّا) تارة أخرى، وذلك نحو قولهم: (كَيصدق: لِيصدق)، و(كوصلو: لَمَّا وصل)، فكل هذا هو ما تبقى لنا من قواعد تلك اللغة المُنقرِضة[1].

وإذا استُثنِيَت تلك الظواهر السابقة المُتبقِّية من لغة اليمن القديمة، يظهر لنا أن معظم الأنماط اللهجية المنسوبة إلى قبائل اليمن في كتب التراث تقع في إطار اللغة الجديدة، ومن بين تلك الظواهر التي وردت في كتاب النوادر منسوبة إلى

---

(١) انظر: شرف الدين، أحمد حسين: **لهجات اليمن قديماً وحديثاً**، مطبعة البجلاوي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٧ . ١٦؛ الصالح، صبحي: **دراسات في فقه اللغة**، ص٥٢ . ٥٤.

أهل اليمن قول أبي زيد: قال المفضل: أنشدني أبو الغُول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن[1]:

يـــا رَبِّ إنْ كُنْـــتَ قَبِلْـــتَ حَجْـــتِج فَـــلا يَـــزَالُ شَـــاحِجٌ يأتِيـــكَ بِـــجْ

أَقْمَرُ نَـهَّاتٌ يُنَزِّي وفْرَتِجْ

حيث أراد: (حَجَّتِي ووَفْرَتِي)، و(بِجْ)/ أراد: (بِي).

وقد أطلق القدماء على هذه الظاهرة اسم (العَجْعَجَة)، وقالوا عنها: إنها قلب الياء جيماً، ونرى هنا أن أبا زيد ينسب هذه الظاهرة إلى أهل اليمن عامة، والمشهور في كُتب التراث نسبة هذه الظاهرة إلى شعب عظيم من شعوب اليمن هو قضاعة[2].

واللغويون عامة يتحدثون عن عدد من اللهجات باعتبار كل منها كياناً مستقلاً ثابتاً، ومن النادر أن يَقصدوا باللهجة منطقة صغيرة مثل مكة أو المدينة أو الطائف، ولكنهم غالباً ما يعزون اللهجة إلى منطقة جغرافية غير محددة تحديداً كافياً مثل الحجاز ونجد وتهامة واليمن، على نحو ما صنع أبو زيد آنفاً.

ومن الواضح أننا لا نستطيع أن نستفيد من هذه النسبة تحقيق أبسط مبادئ الجغرافيا اللغوية، التي تعتمد على الإقليمية بمعناها الضيق، كما أننا لا نستطيع أن نرسم خطوط التوزيع التي تُمثِّل كلاً من الظواهر اللغوية على حدة، فلغة

---

(١) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٤٥٥ – ٤٥٦.

(٢) انظر: الأزهري: محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ومراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م، مادة: (عج)، ج١، ص٦٨؛ السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج١، ص٢٢٢.

الحديث تختلف من قرية إلى قرية، ومن النادر أن نجد مجموعة كافية من خطوط التوزيع تُمكِّننا من رسم الحدود الفاصلة بين لهجة وأخرى[١].

وتعد هذه الظاهرة اللهجية الصوتية المنسوبة إلى أهل اليمن انتقالاً بصوت لا هو بالشديد ولا الرخو، أو فيه بعض الرخاوة، وهو الياء، إلى صوت آخر أميل إلى الشدة منه إلى الرخاوة، وهو الجيم، ولعل هذه الظاهرة من صفات اللهجات البدوية التي حرصت على تفخيم (الياء)، فصارت (جيماً)، والذي يؤيد ذلك نِسْبةُ هذه الظاهرة أيضاً إلى (فقيم دارم) في قبيلة تميم[٢].

والعلاقة بين الياء والجيم من الناحية الصوتية واضحة جلية؛ لأن كلاً منهما صوت مجهور، ومخرجهما واحد، وإنما تختلف الجيم عن الياء في أن الأول صوت أقرب إلى الشدة منه إلى الرخاوة، في حين أن الياء من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين، ليست بشديدة ولا رخوة، أو فيها بعض الرخاوة[٣].

---

(١) انظر: رابين: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٤٣، ٤٤. يذهب (رابين) إلى أن للدراسة اللغوية الجغرافية في الجزيرة خاصة فريدة هي أن الجماعة اللغوية كانت تنتقل راحلة من مكان لآخر على بُعد شاسع، وعلى هذا فإن تحديد مواطن هذه الوحدات على خرائطنا ليس ممثلاً للواقع بل هو مجرد صورة تقريبية لتقسيم اللهجات، وقد يكون في هذه الصورة بعض الخطأ؛ إذ ليس هنالك ما يُسمَّى بجغرافية التوزيع القَبَلي في الجزيرة.

(٢) انظر: أنيس: **في اللهجات العربية**، ص١١٠. لقد تعددت القبائل التي نُسِبَت إليها هذه الظاهرة، فنجد أنها قد نُسبَت في كتاب (الإبدال) لأبي الطيب إلى بني دبير من بني أسد خاصة وإلى بني حنظلة وطيئ، ونسبها سيبويه وعبدالقادر البغدادي إلى بعض بني سعد، ونسبة هذه الظاهرة إلى قبيلة من القبائل العربية ونسبتها إلى قبيلة أخرى في مرجع آخر، لا تعني بالضرورة أن هناك تعارضاً بين المرجعين في هذه النسبة؛ إذ قد تنتشر الظاهرة اللغوية أحياناً بين مجموعة من القبائل، فيروي كل لغوي ما بلغه منها. انظر: سيبويه: **الكتاب**، ج١، ص٣٦١؛ أبو الطيب: **الإبدال**، ج١، ص٢٥٨، ٢٦٠؛ البغدادي: **شرح شواهد الشافية**، ج٤، ٢١٢؛ عبدالتواب: **فصول في فقه العربية**، ص١٢٠، ١٣٠ -١٣٥.

(٣) انظر: أنيس: **في اللهجات العربية**، ص١١١.

ولهذا السبب نرى الصوتين يتبادلان في اللهجات العربية القديمة والحديثة، وهناك عكس ظاهرة العجعجة، أي إبدال الجيم ياء، فقد روي أن بني تميم يقولون في (الصهريج) الذي يجتمع فيه الماء: (الصهريّ)، وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر في بعض قرى جنوبي العراق، وبعض بلدان الخليج العربي؛ إذ يقولون في (مسجد) مثلاً: (مَسْيِد)، وفي (دجاج): (دياي)، وغير ذلك[1].

هـ. لغة اليهود:

كان اليهود جاليات كبيرة العدد مُتعدِّدة الفروع، منتشرة في أماكن كثيرة من منطقة يثرب والطريق المؤدية إلى الشام، وكانت كتل اليهود الكُبرَى – على ما يبدو – تتركّز في يثرب بالذات، حيث كانت فيها ثلاث قبائل ربَّما بلغ عدد رجالها البالغين أكثر من ألفين، وهي: قينقاع، والنضير، وقريظة. وإلى جانبها كانت توجد بطون وعشائر يهوديَّة مُتفرِّقة كانت أكثر من عشرين بطناً.

ويختلف المؤرخون في جنسية يهود يثرب، أَهُمْ عرب تهودوا، أم هم إسرائيليون نزحوا إلى الأقاليم العربية؟ فعامّة المؤرخين العرب يرون أنهم إسرائيليون نزحوا إلى ديار العرب، ويرى بعض المؤرخين أن بني النضير وبني قريظة فرعان من قبيلة جذام العربية تهودوا، وسُمّوا باسم المكان الذي نزلوا فيه، فبنو النضير فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا، ونزلوا بجبل يقال له النضير، فسموا به. وبنو قريظة فخذ من جذام إخوة النضير، يُقَال إن تهودهم كان في أيام السموأل، ثُمَّ نزلوا بجبل يُقال له قريظة، فنُسِبوا إليه، ومن جهة أخرى تجتهد طائفة من المؤرخين الإفرنج في أن تجد لبعض أسماء القبائل اليهودية اشتقاقاً عِبريَّاً[2].

ويُشير (إسرائيل ولفنسون) إلى آثار اللغة العبرية الظاهرة في أسماء الأماكن التي نزلها اليهود في الحجاز، فيقول: فمع أن أسماء البلدان والأماكن التي سكنها اليهود في الحجاز كانت عربية؛ فقد وجد لبعضها اتِّصال باللغة العبرية، مثل:

---

(١) انظر: عبدالتواب: **فصول في فقه العربية**، ص١٣٢، ١٣٣.

(٢) الشريف، أحمد إبراهيم: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٤٥.

وادي بطحان، فإنَّ معناه بالعبرية: الاعتماد، ووادي مهزور أو محزور معناه: مجرى الماء[١].

أمَّا لغة اليهود في بلاد العرب فقد كانت العربية بطبيعة الحال، ولكنها لم تكُن خالصة، بل كانت تشوبها الرطانة العبرية؛ لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركاً تامّاً، بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراستهم، فكان من الضروري أن يَدخُل في عَرَبِيَّتِهم بعض العبرية[٢].

وقد نسب أبو زيد في نوادره إلى لغة اليهود ظاهرة صوتية تَتَمثَّل بقوله: "حَدَّثني شيخ لنا من البَصريين عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي قال: أَنْشَدتُ الخليل بن أحمد قول السَّمَوْأل[٣]:

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القَلِيلُ مِنْ الرِّزْ ... قِ ولا يَنْفَعُ الكَثِيرُ الخَبِيثُ
وَلِكُلٍّ مِنْ رِزْقِهِ مَا قَضَى اللـ ... ـهُ وَلَوْ حَكَّ أَنْفُهُ المُسْتَمِيتُ

فقال لي: ما (الخَبِيثُ)، فقلتُ أراد (الخَبيثَ). وهذه لغة لليَهود يُبدلون من الثاء تاء. قال: فَلِمَ لَمْ يَقُل (الكَتيرَ)، فلم يكُن عندي فيه شيء"[٤].

---

(١) انظر: ولفنسون: **تاريخ اللغات السامية**، دار القلم، بيروت، ص٧٣ – ١٠٥.

(٢) الشريف: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، ص٢٤٥.

(٣) انظر: السموأل، ابن عاديا: **شعره**، تحقيق وشرح: عيسى سابا، دار صادر، بيروت، ١٩٥١م، ص٢٦–٢٨، وقد ذكر محقق الديوان أن (الخَبِيت) لغة في الخَبيث، وقد توافقت روايات معظم كتب التراث اللغوي لهذا الشاهد مع رواية الديوان، وبناء على هذا فإنه لا يصح ما ذهب إليه أبو منصور الأزهري بقوله: "أَظن (الخَبِيت) تصحيفاً؛ لأَن الشيء الحقير الرديء إنما يقال له: (الخَتِيتُ) – بتاءَين– وهو بمعنى: الخَسِيس، فَصَحَّفه وجَعَله (خَبِيتاً)". انظر: الأزهري: **تهذيب اللغة**، مادة: (خبت)، ج٢، ص٤٧٤.

(٤) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٣٤٥ – ٣٤٧.

وقول الأصمعي: هذه لغة لليَهود يُبدِلون من الثاء تاء، لا يستقيم مع ما أظهرته البحوث المقارنة في اللغات الساميّة؛ إذ إن الثاء في العربية تُقابِل الشين في العبرية، وتُقابل التاء في الآرامية، وتلك قاعدة مُطّردة في مقارنات أصوات اللغات السامية(١).

وعلى هذا كان الأصل أن تبدل الثاء في العربية شيناً في العبرية إذا افترضنا أن الشاعر قد نزع في نطقه هذا إلى لغته الأم، لكن الذي يراه الباحثان أن هذا الانحراف في نطق الشاعر جاء من تأثير اللغة الآرامية، فقد أدَّى انتشار هذه اللغة على الألسنة إلى تقلص ظل العبرية؛ إذ وجد العبريون أنفسهم حينذاك وجهاً لوجه أمام تلك اللغة الشعبية التي اكتسحت كل صدر آسيا، وهي الآرامية، فكان من السهولة أن يتعاملوا بهذه اللغة بدلاً من لغتهم الأصلية؛ لأن كل واحدة من اللغتين قريبة من الأخرى قُرْباً شديداً(٢).

وبناء على ما سبق يكون الشاعر متأثراً في هذا الاستعمال باللغة الآرامية لا العبرية، ومثل هذا العدول والانحراف يكون فردياً مرتبطاً بأنماط محددة(٣)، فهو أشبه ما يكون بالركام اللغوي الذي يرجع إلى أزمنة سحيقة من عمر اللغات، وهذا ما يُفَسِّر لنا ورود كلمة (الكَثير) بالثاء لا بالتاء.

---

(١) انظر: ولفنسون: **تاريخ اللغات السامية**، ص٢٤٣- ٢٥٤؛ عبدالتواب: **فصول في فقه العربية**، ص٤٧.

(٢) عبدالتواب: **فصول في فقه العربية**، ص٢٩.

(٣) ومصداق ذلك ما أورده ابن منظور في لسان العرب: "سأَل الخليلُ الأَصمعيَّ عن (الخَبِيتِ) في هذا البيت، فقال له أَراد (الخَبِيثَ)، وهي لغة خَيْبَر، فقال له الخليل: لو كان ذلك لغتَهم لقال (الكَتِير) بالتاء أَيضاً، وإِنما كان ينبغي لك أَن تقول: إِنهم يقلبون الثاء تاءً في بعض الحروف". انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، مادة (عسق)، ج١٠، ص٢٥٠.

وقد عمدت اللهجات العامية الدارجة في مصر وغيرها من الأقطار العربية إلى إشاعة هذا النمط، فأخرجته من حَيِّز الاستعمالات الخاصة – على نحو ما ورد في كتب التراث اللغوي – إلى حَيِّز الاستعمالات العامة تحت ما يُعرَف بـ(ظاهرة ضياع أصوات ما بين الأسنان)، فقد أورد يوسف المغربي (ت: ١٠١٩هـ) في كتابه (دفع الإصر عن كلام أهل مصر) أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة، ومن ذلك ضياع (الثاء) وانقلابها (تاء) في قوله: "يقولون على الشجر: أتل (بالمثناة)، وإنما هو أثل (بالمثلثة)، واحده أثله"[١]، و"يقولون: أكلنا الشيء ورمينا تِفْله، والصواب: الثُّفْل، بالمثلثة وبالضم"[٢]، و"يقولون: توم (بالمثناة)، وإنما هو ثوم (بالمثلثة)"[٣]، ويورد أمثلة أخرى على ضياع (الذال) وتحولها إلى (دال)، وأمثلة على ضياع (الظاء) وتحولها إلى (ضاد)[٤].

وهذا التناوب بين حرفَيْ التاء والثاء لا يقتصر فقط على أُسرة اللغات السامية، فقد تبين لبعض فقهاء اللغة المقارنين أن هذا التوافق الصوتي بين التاء والثاء يأخذ طابعاً منتظماً في الكلمات المترادفة في طائفة من أُسرة اللغات الهندوأوربية المختلفة[٥].

٢. المستوى الصرفي:

يترتب على تغيُّر الصفات الصوتية – بطبيعة الحال– تغيير في بِنيَة الكلمة، وتلتزم القبائل هذا التغيير في مواضعه، ولا يستطيعون غيره إلا مع كثير من التكلُّف والعنت، فالعربيّ في لغة تخاطبه يطلق نفسه على سجيتها، وينطق كما تعوَّد في بيئته.

---

(١) المغربي، يوسف (ت: ١٠١٩هـ): **دفع الإصر عن كلام أهل مصر**، تحقيق: السيد إبراهيم سالم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة، ١٩٦٢م، (٦٣أ/١٩).

(٢) المصدر نفسه، (٦٧أ/ ١٨).

(٣) المصدر نفسه، (٩٦أ/٧).

(٤) المصدر نفسه، (٩٢ب/ ١)، (١٠٨ب/ ٤)، (١٢٥أ/ ١١)، (٧١ب/ ١)؛ انظر: عبدالتواب، رمضان: **دراسات وتعليقات في اللغة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤، ص٩٧، ٩٨.

(٥) انظر: عبدالعزيز(محمد حسن): **مدخل إلى علم اللغة**، ص٢٨١.

وتغيُّر بنية الكلمات نتيجة تغير صوت من أصواتها، يُعدّ في معظم الأحيان تغييراً طفيفاً لا يصعب معه تعرف الكلمة في صورتها الأصلية الأكثر شيوعاً والأفصح استعمالاً، فهناك صور مختلفة للكلمة الواحدة رواها القدماء على أنها كلها صحيحة جائزة، في حين أنه من السهل اليسير الحكم على تلك الصور بأنها تنتمي إلى أكثر من لهجة من لهجات العرب(١)، وقد جاءت الظواهر اللهجية المتعلقة بالمستوى الصرفي في نوادر أبي زيد على هذا النحو:

أ. لهجة تميم:

تَمِيم قبيلة عريقة ضاربة في التاريخ، وما تزال تفرض وجودها في كثير من الأقطار العربية: العراق وسورية والأردن والسعودية وفلسطين، وبنو تميم يعودون إلى تَمِيم بن مُرّ بن أُدّ بن طَابِخَة بن إلياس بن مُضَر بن عدنان، وهي من القبائل العربية الكبيرة، وقد قال عنها ابن حزم في (الجمهرة): "تميم قاعدة من أكبر قواعد العرب"(٢)، وقد اتَّسَعتْ منازلهم، فعَجَّل ذلك بانشعابها وانقسامها بطوناً وأحياء منذ القدم، حتى صار كل منها قبيلة قائمة بذاتها.

وكانت تميم في القرن السادس الميلادي من أبرز قبائل الجزيرة العربية؛ إذ انتشرت فروعها في شرقيّ الجزيرة وفي نجد وحتى حدود العراق، وجاورت في مساكنها عدداً من قبائل العرب المشهورة مثل: أسد بن خزيمة، وغَطَفان، وعبد القيس، وتَغْلِب، وبَكْر بن وائل(٣).

---

(١) انظر: أنيس: **في اللهجات العربية**، ص١٣٨، ١٣٩.

(٢) ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص١٩٦.

(٣) انظر: ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص١٩٦؛ القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ص١٨٨؛ علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، ج٤، ص٥٢٦؛ الجدع، أحمد: **تاريخ تميم وأنسابها**، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م، ص١٢– ١٧؛ الروضان: **موسوعة القبائل العربية**، ص١٢٥، ١٢٦.

وقد نسب لهم أبو زيد استعمال صيغة (فِعْلَة) في التفضيل بدلاً من صيغة (أفْعَل) في بعض الأداءات الاستعمالية، ويظهر ذلك في قول أبي زيد: "سَمِعتُ أعرابياً من بني تميم يقول: (فلانٌ كِبْرَةُ ولدِ أبيه)، إذا كان أكبرَهُم. قال أبو حاتم: وقع في كتابي: (إكْبِرَةُ ولد أبيه)، أي: أكْبَرهُم، و(فلان صِغْرَةُ ولد أبيه)، إذا كان آخر ولد يُولَدُ لأبيه"(١) .

وأكثر ما يُضلِّل الباحث نسبة مثل هذه الظاهرة اللهجية النادرة إلى أعرابي ينتسب إلى قبيلة ضخمة مثل تميم . كما فعل أبو زيد . دون أن يُحدِّد نسبتها إلى فصيلة محددة من فصائل قبيلة تميم الكثيرة(٢)؛ فمن الواضح أن فصائل تميم لا تشترك جميعها في الاستعاضة عن (أفْعَل) بـ(فِعْلة)، ولو كان هذا الاستعمال شائعاً لذكرته كتب التراث التي حرصت على تدوين الأداءات الاستعمالية المنسوبة إلى القبائل الشرقية المتمثلة بقبيلة تميم.

ب. لهجة العَجْلانِيّين:

هنالك ثلاثة بطون يُسمّى كل منها بني العَجْلان، وهم: بطن من الخزرج من الأزْد من القَحْطانِيّة، وهم بنو العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمر بن الخزرج، وبطن من بني قضاعة من القحطانية، وهم بنو العجلان بن حارثة بن

---

(١) أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٣٣٠ – ٣٣١.

(٢) وممَّا يُدلّل على أن قبيلة تميم تنطوي على بيئات لغوية متغايرة ومُتعدِّدة بتعدد فصائلها المختلفة، قول ابن يعيش بأن "بني تميم يختلفون في آخِر فعل الأمر المضاعف، فمنهم من يُتْبع، فيقول: (رُدُّ) بالضم، و(فِرِّ) بالكسر، و(عَضَّ) بالفتح، ومنهم من يكسر على كل حال، فيقول: (رُدِّ)، و(فِرِّ)، و(عَضِّ). ومنهم من يفتح على كل حال". فهذه تسعة أداءات استعمالية لنمط لغوي واحد، نستطيع من خلالها رسم صورة تقريبية تتبئنا بمدى التغاير الماثل في البيئات اللغوية المنتسبة إلى قبيلة تميم. انظر: ابن يعيش: **شرح المفصل**، ج٣، ص٣١، ٣٢.

ضبيعة، وبطن من عامر بن صَعْصَعَة من العدنانية، وهم بنو العجلان ابن عبدالله ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة[١].

وهذا التشابه في أسماء القبائل والبطون يُضلِّلُ الباحِثِينَ، ويَذهبُ بقيمة المادة اللهجية المنسوبة إلى إحداها دون تحديد دقيق، وقد أوْقَعَنا أبو زيد في مثل هذا الاضطراب عندما نسب نمطاً لهجياً إلى بعض العجلانيين دون أن نعرف أي العجلانيين قَصَد، ويتمثل هذا النمط بقوله: "سَمِعتُ بعض العَجْلانيين يقول: (هذا سَطَرٌ)، يفتح موضع الفاء والعين من الفعل، قال: وَهْيَ سُطُورٌ كَثِيرة"[٢]. وهذا التشابه بين أسماء القبائل لن يثنينا عن تحليل هذه الظاهرة الصوتية المتكررة في بعض الأداءات الاستعمالية للعربية الفصيحة.

وقد ذكر ابن منظور صورتين لِنُطْق كلمة (سطر) هي: (سَطَر)، و(سَطْر) بتسكين الطاء[٣]، والنطق الأول – وفقاً لِمَا ذكر أبو زيد الأنصاري – منسوب إلى العجلانيين، والسبب في هذا التَّغايُر البِنْيويُّ يعود إلى ميل العجلانيين إلى نَسْج خاص بمقاطع الكلمة يتمثل بإيثار المقاطع المتحركة على المقاطع الساكنة، والقبائل التي تؤثر المقاطع المتحركة هي قبائل متحضرة، بعكس القبائل البدوية الشرقية التي تؤثر المقاطع الساكنة نحو قبيلة تميم[٤]، ويرى (فرستيغ) أن هذه السمة في القبائل الشرقية متصلة بسمة النبر، فاللهجات الشرقية قد ملكت نبراً قوياً على آخر الكلمة[٥].

---

(١) انظر: ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص٢٨٨، ٣٣٤، ٤٥٣، ٤٧١، ٤٨٣، ٤٩٣؛ القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ص٦٦ – ٦٧.

(٢) أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٣١١.

(٣) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سطر)، ج٧، ص١٨١.

(٤) انظر: أنيس: **في اللهجات العربية**، ص١٤٠، ١٤١.

(٥) انظر: فرستيغ، كيس: **اللغة العربية (تاريخها ومستوياتها وتأثيرها)**، ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥٩.

والانتقال من صوت صامت مُتَحرِّك إلى صامت آخر مُجاور مُتَحرِّك أيسر في الجهد العضلي من الانتقال من صامت مُتَحرِّك إلى آخر ساكن، وقد آثرت قبيلة العجلانيين – تلك القبيلة الغربية المتحضرة – هذا النوع من الانتقال ميلاً منها إلى المقاطع المفتوحة.

٣. المستوى النحوي:

إن البناء التركيبي في اللهجات العربية القديمة هو نفسه في العربية الفصيحة باستثناء بعض الحالات الإعرابية القليلة، فقواعد بناء الجملة في هذه اللهجات لا يناله إلا القليل من التغيير(١)، وقد روى أبو زيد الأنصاري ظاهرتين لهجيتين تتعلقان بالمستوى الإعرابي هما:

أ. لهجة تميم:

نسب أبو زيد الأنصاري في نوادره إلى قبيلة تميم عدم صرف كلمة (أمس)، ويتمثل هذا في قول الراجز(٢):

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً مُذْ أَمْسَا عَجَائزاً مِثْلَ الأفاعي خَمْسَا

حيث ينص أبو زيد على أن قول الراجز: "(أمسا) ذهب بها إلى لغة بني تميم، يقولون: (ذهبَ أمسُ بما فيه)، فلم يَصْرِفْهُ"(٣).

ويظهر من قول أبي زيد أن بني تميم في استعمالهم لكلمة (أمس) يلزمونها في حالة الرفع الضم مع منعها من الصرف، ويبنونها على الفتح في حالتي النصب والجر، بينما يرى سيبويه أن بني تميم يرفعونها بالضمة مع منعها من الصرف، ويبنونها على الكسر في حالتي النصب والجر(٤).

---

(١) انظر: المطلبي: **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة**، ص٣١، ٣٣.

(٢) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٢٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥٧.

(٤) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان (ت: ١٨٠هـ): **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٣، ص٢٨٣.

ولعل الاستعمال الشائع عن بني تميم هو ما ذكره سيبويه من أنهم يبنونها على الكسر في حالتي النصب والجر، وما ذكره أبو زيد هو استعمال عارض يأتي كما ينص سيبويه عندما تقترن (أمس) بـ(مُذ)، ولم يأت هذا النمط إلا في قول الراجز السابق الذكر، فمثل هذا الاستعمال قليل(١).

ب. لهجة بني الحارث بن كعب:

هنالك ما يقرب من ثلاثين بطناً في القبائل العربية يُطلَق عليهم: (بنو الحارث)، وهذه البطون مُتفرِّقة بين القبائل العدنانية والقبائل القحطانية، والذين رُصِد لهم بعض الظواهر اللهجية في نوادر أبي زيد هم: بطن من تميم، وهم بنو الحارث بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم(٢).

ومن الظواهر اللهجية التي جاءت في نوادر أبي زيد منسوبة إلى قبيلة بني الحارث بن كعب: قول أبي حاتم أثناء تعليقه على قول رجل من بني ضَبَّة(٣):

أعْـــرِفُ مِنْهـــا الأَنْـــفَ والعَيْنَانـــا ومَنْخَـــــرانِ أشْبَهـــــا ظَبْيَانـــــا

فقد قال أبو حاتم: "أخطأ في قوله: (العَيْنَانا)، إنما هو (العَيْنَينِ)، وهو مُفْسَدٌ، ولا يجوز فتح النون خاصة. ولو قال (العينانِ)، لكان على لغة بني الحارث بن كعب"(٤).

وبنو الحارث بن كعب وبعض أهل اليمن يُلْزِمون المُثنَّى الألف في جميع الحالات الإعرابية، ويكسرون نون المثنى ميلاً منهم إلى المخالفة بينها وبين

---

(١) سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٣، ص٢٨٣.

(٢) القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ص٤٧.

(٣) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص١٦٨؛ البغدادي: عبدالقادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ): **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٧، ص٤٥٢ – ٤٥٧. وقد جاءت رواية الخزانة (ومَنْخَرينِ) بدلاً من (وَمَنْخَرانِ).

(٤) أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص١٦٩.

الصائت الطويل الذي قبلها (ألف المد)، وذلك لتحقيق الانسجام الصوتي في بنية الكلمة. وهذا ما نص عليه أبو زيد بقوله: "لغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً يقولون: (أَخَذتُ الدِّرهمانِ، واشْتَرَيتُ الثوبانِ)"(١).

وفي حقيقة الأمر لم تُقلَب الياء هنا إلى ألف، فليس هنالك تقارب صوتي بينهما، وإنما الذي حدث هنا هو تَكوُّن مزدوج حركي هابط (ay) في مثل كلمة (درهمين) في حالة النصب والجر، وقد عمدت لهجة الحارث بن كعب إلى حذف شبه الحركة والاستعاضة عنها بمطل الحركة القصيرة التي قبلها، ونُمثِّل ما حدث بالكتابة الصوتية على هذا النحو:

/dirhamayni/ → /dirhama*ni/ →/dirhamāni/

ولم تسلك قبيلة الحارث بن كعب هذا النهج في المُثنَّى فحسب، وإنما أشاعته في أنماط أخرى تتصل بحروف الجر، فقد أورد أبو زيد لبعض أهل اليمن قوله(٢):

أيُّ قَلُوصِ رَاكِبٍ تَرَاها طاروا عَلَيْهِنَّ فَشُلْ عَلاهَا
واشْدُدْ بِمَثْنَى حَقَبٍ حَقْوَاهَا نَاجِيَةً وناجِياً أباها

يقول أبو زيد: "و(عَلاهَا) أراد: (عَلَيْها)، ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً يقولون: (السَّلامُ عَلاكُمْ)، فهذه الأبيات على لغتهم"(٣).

---

(١) أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٢٥٩؛ الأستراباذي، محمد بن الحسن (ت: ٦٨٦هـ): **شرح كافية ابن الحاجب**، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج٣، ص٤١٣.

(٢) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص٢٥٩.

(٣) انظر: السابق نفسه.

والذي حدث هنا يُشبه ما حدث في النمط السابق، فقد تَشكَّل مزدوج حركي هابط (ay) في (عَلَيْكم)، وقد عمدت لهجة الحارث بن كعب إلى حذف شبه الحركة، والاستعاضة عنها بمطل الحركة القصيرة التي قبلها، ونمثل ما حدث بالكتابة الصوتية على هذا النحو:

/<alaykum/ → /<ala*kum/ → /<alākum/

وفي بعض اللهجات الدارجة يتم حذف شبه الحركة دون الاستعاضة عنها بشيء، ويظهر ذلك في لهجة عشائر السعوديين في جنوب الأردن؛ إذ يقولون عند إدخال حرف الجر (على) على الكاف ضمير المخاطب المُفرَد: (عَلَكْ) خاصة دون غيره من الضمائر الأخرى، ونمثل ما حدث بالكتابة الصوتية على هذا النحو:

/<alayk/ → /<ala*k/ → /<alak/

وفيما يتعلق بتخطئة أبي حاتم الشاعر في قوله: (العَيْنَانا)، فإن ذلك لا يصح منه؛ إذ إن فتح نون المثنى لغة متعارف عليها في الأداءات الاستعمالية، وقد ورد عليها شواهد عدة نُسِبت إلى قبيلة فَقْعَس[1]، والتعليل الصوتي لهذه الظاهرة هو ميل الناطقين بهذه اللهجة إلى مماثلة فتحة نون المثنى للصائت الطويل الذي قبلها في حالة الرفع، ومن ثم قِيستْ هذه العملية على باقي الحالات الإعرابية الأخرى لطرد الباب على وتيرة واحدة.

ولعل فتح نون المثنى مُتقدِّم في الوجود على كسرها، فاللغة في غالب أحوالها تميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، فإذا ما وجد نمطان لغويان، وكان أحدهما

(١) الأستراباذي: **شرح الكافية**، ج٣، ص٤١٤.

أثقل من الآخر عُدَّ النمط الأثقل هو السابق في الوجود غالباً، ومماثلة حركة النون للصائت الذي قبلها أثقل في النطق من المخالفة بينهما.

٤. المستوى الدلالي:

روت لنا المعاجم العربية وكتب اللغة مئات من الكلمات التي اختلفت معانيها بعض الاختلاف تَبَعاً للهجات المتباينة، ولم يُحاوِل أصحاب هذه المصنفات تنظيم مثل هذه الكلمات على أساس علمي يلقي الضوء على تطور المعاني بين اللهجات، وعلى الحياة الاجتماعية في القبائل، بل كان كل همهم هو سرد الكلمات، ونسبة بعضها فقط إلى بيئاتها، فكانوا يقولون (وثب) عند حمير بمعنى: جلس، وعند عرب الشمال بمعنى: قفز، و(السُّدْفَة) عند تميم: الظُّلْمة، وعند قيس: الضوء(١).

وتؤكد لنا كتب اللغة أن بعض القبائل قد اشتهرت بكلمات معينة، واختصَّت بها دون غيرها من سائر القبائل الأخرى، ومثال ذلك ما ورد في نوادر أبي زيد من أن أهل البصرة يُطلِقون كلمة (الطُّفَيلِيّ) على الذي يأتي الطعام الذي لا يُدعَى إليه، ويَتَعَهَّدُه(٢).

وينفرد أبو زيد بنسبة هذا النمط إلى أهل البصرة، فبعض مصادر التراث تعزوه إلى أهل العراق عامّة(٣)، ويظهر في بعض المصادر – بطريق غير صريح

---

(١) انظر: السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج١، ص١٨٨– ١٩١؛ أنيس: **في اللهجات العربية**، ص١٣٧، ١٣٨؛ هلال: **اللهجات العربية نشأة وتطوراً**، ص٢٧.

(٢) أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص ١٨٧ – ١٨٨.

(٣) انظر: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت:٧٧٠هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، مادة: (طفل)، ج٢، ص٣٧٤.

– أن هذا النمط الأدائي أول ما استعمل وشاع في الكوفة[١]، بينما ينسب بعضها الآخر هذا الاستعمال إلى العامة[٢].

وإذا ما أردنا أن نُوفِّق بين هذه الآراء المختلفة، فإنه يظهر أنّ هذا الاستعمال شاع أولاً على ألسنة العامة في الكوفة، ومن ثم انتشر على ألسنة أهل العراق، وبعد أن اكتسب صفة الشيوع استعاض به المتأدبون عن الأنماط الأخرى التي عدت بالنسبة إليه أنماطاً غريبة.

ويُقابِل هذا الاستعمال عند أهل البصرة كلمة (البُرَقِيّ) عند أهل الحجاز[٣]، وكلا الاستعمالين يمثل اللهجات الحضرية التي ترتبط بالمكان أكثر من ارتباطها بالقبيلة[٤]، في حين نجد اللهجات البدوية قد استعملت كلمات أخرى للدلالة على المعنى نفسه، وذلك نحو: (اللُّعْمُوظ) في قول رافع بنُ هُرَيم[٥]:

لَعَامِظَـــةٌ بَـــيْنَ العَصَـــا ولِحَائهـــا أَرِقـــاءُ نَيَّـــالُونَ مِـــنْ سَـــقَطِ السَّـــفْرِ

وكذلك كلمة (الرَّاشِن)[٦]، فقد نصّ ابن منظور على أنَّ "الرَّاشِن هو الذي يتعهّد مواقيت طعام القوم، فَيَغْتَرُّهم اغتراراً، وهو الذي يقال له الطُّفَيلي"[٧]. وقد ذكر الأصمعي أن العرب تُسَمِّي الطُّفَيلي (قِنْوَاساً)، وهو حرف نادر، وأنشَدَ[٨] :

---

(١) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (طفل)، ج٩، ص١٢٧.
(٢) انظر: ابن دريد: **جمهرة اللغة**، مادة: (رشن)، ج٢، ص٣٤٩.
(٣) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص١٨٨.
(٤) يذهب (رابين) إلى أن الوحدة الحقيقية بالنسبة للمجتمع العربي البدوي كانت (الحي)، وهو مجموعة من العائلات تسكن منطقة واحدة، وكثيراً ما تقوم بينهم وبين مجموعة أخرى تنتمي لقبيلة مختلفة صلات أكثر توثقاً من تلك التي تقوم بينهم وبين بقية عائلات قبيلتهم. انظر: رابين: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ص٤٤.
(٥) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص١٨٧.
(٦) السابق نفسه.
(٧) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (رشن)، ج٦، ص١٥٩.
(٨) انظر: أبو زيد: **النوادر في اللغة**، ص١٨٩.

لـــو كُـــنْتُ أدْري أنَّـــهُ قِنْـــوَاسُ لَجِئْتُـــهُ حِـــينَ يَنَـــامُ النَّـــاسُ

ونص ابن منظور على أن كلام العرب لمن يدخل من غير أن يُدعَى في الطعام (الوَارِشُ)، وفي الشراب (الوَاغِلُ)[١]. قال امرؤ القيس[٢]:

فَـــاليومَ فَاشْـــرَبْ غَيْـــرَ مُسْـــتَحْقِبٍ إثْمـــاً مِـــنَ اللـــهِ وَلا وَاغِـــلِ

ومما سبق يتبين أن استعمال (الطُّفَيلِي) في لهجة أهل البصرة يقابله في اللهجات البدوية: (اللُّعْمُوظ)، و(الرَّاشِن)، و(قِنْوَاس)، و(الوَارِش)، و(الوَاغِل)، وأورد ابن منظور مفردات أخرى وردت عن العرب جاءت بهذا المعنى هي: (الأَرْشم)، و(الزَّلاَّل)، و(القَسْقاس)، و(النتيل)، و(الدَّامِر)، و(الدَّامِق)، و(الزَّامِج)، واستعمال كلمة (الطُّفَيلِي) إذا ما قيس باستعمالات أهل البادية، فإنه يُعدُّ مُستحدَثاً، فقد نصّ السيوطي على أن "الطُّفَيْلِي لغة مُحدَثَة لا توجد في العتيق من كلام العرب"[٣]. وقد اختلف العلماء في أصل اشتقاق هذه الكلمة، فذهب الأصمعي إلى أن "(الطُّفَيلي) مُشتَق من الطَّفَلِ، وهو إقبال الليل على النهار بِظُلْمَته، وقال أبو عمرو: الطَّفَلُ الظُّلْمَة بِعَينِها"[٤].

وذهب ابنُ السِّكيت والأزهري إلى أن كلمة (الطُّفَيلي): "نِسبَة إلى (طُفَيْلٍ) من ولد عبدالله بن غطفان من أهل الكوفة، وكان يدخل وليمة العرس من غير أن

---

(١) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (ورش)، ج١٥، ص١٩٢.

(٢) انظر: امرؤ القيس (ت: ٥٤٥م): **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١١٩.

(٣) السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج١، ص٣٠٧.

(٤) الميداني، أحمد بن محمد (ت: ٥١٨هـ): **مجمع الأمثال**، تحقيق: نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص٤٤٨.

يُدعَى إليها، فَنُسِب إليه كُلُّ مَنْ يفعل ذلك"[1]. وكان يقول: وددت أن الكوفة كُلَّها بِرْكةٌ مُصَهْرَجَةٌ، فلا يَخْفَى عَليَّ منها شيء ثم سُمِّي كل رَاشِنٍ طُفَيْلِيّاً، وصَرَّفوا منه فِعلاً، فقالوا: طَفَّل، ورجُلٌ طِفْليلٌ يدخل مع القوم، فَيأْكل طَعامَهم من غير أن يُدْعَى[2].

ولَعلّ مذهب ابن السِّكيت والأزهري أقرب إلى الصواب من مذهب الأصمعي؛ إذ ليس هنالك تقارب بين المعنى اللغوي لكلمة (الطَّفَلِ) والدلالة المُستحدَثة على ألسنة أهل البصرة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن القيمة التداولية لكلمة (الطُّفَيلي) المُستحدَثة أعلى من نظيراتها الأخريات المُستَعمَلات على ألسنة أهل البادية.

وبعد، فإن استقصاء هذه الأنماط الاستعمالية وفقاً لمستويات اللغة المتنوعة في نوادر أبي زيد قد أوصلنا إلى الحد الأدنى من الظواهر اللهجية القديمة، وحري بمثل هذه الإشارات اللهجية المتناثرة في تضاعيف كتب التراث اللغوي أن تعطي للهجات العربية القديمة حدودَها وصفاتها الخاصة ضمن حدود اللغة.

---

(١) الفيومي: **المصباح المنير**، مادة: (طفل)، ج٢، ص٣٧٤.

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة: (طفل)، ج٩، ص١٢٧.

قائمة المصادر المراجع

١. الأزهري: محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ومراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢. الأستراباذي، محمد بن الحسن (ت: ٦٨٦هـ): **شرح كافية ابن الحاجب**، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٣. امرؤ القيس (ت: ٥٤٥م): **ديوانه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.

٤. أنيس، إبراهيم: **في اللهجات العربية**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

٥. البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ): **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦. البغدادي: عبدالقادر بن عمر (ت: ١٠٩٣هـ): **شرح شواهد شافية ابن الحاجب**، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

٧. الجدع، أحمد: **تاريخ تميم وأنسابها**، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.

٨. ابن حزم، محمد علي بن أحمد (ت: ٤٥٦هـ): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.

٩. ابن دريد، محمد بن الحسن (ت:٣٢١هـ): **جمهرة اللغة**، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٤٤هـ.

١٠. رابين، حاييم: **اللهجات العربية الغربية القديمة**، ترجمة: عبدالرحمن أيوب، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٦م.

١١. الراجحي، عبده: **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

١٢. الروضان، عبد عون: **موسوعة القبائل العربية**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م.

١٣. أبو زيد: سعيد بن أوس (ت: ٢١٥هـ)، **النوادر في اللغة**، تحقيق: سعيد الخوري الشرتوني، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

١٤. أبو زيد: سعيد بن أوس (ت: ٢١٥هـ): **النوادر في اللغة**، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ١٩٨١م.

١٥. السعودي: أحمد عطية و(عيال سلمان): عزمي محمد: "**النوادر في اللغة العربية**"، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد السادس، العدد الأول، سنة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٦. السموأل، ابن عاديا: **شعره**، تحقيق وشرح: عيسى سابا، دار صادر، بيروت، ١٩٥١م.

١٧. سيبويه، عمرو بن عثمان (ت: ١٨٠هـ): **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٨. السيرافي، الحسن بن عبدالله (٣٦٨هـ): **أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وإخبار بعضهم عن بعض**، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٩. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، (ت: ٩١١هـ): **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤م.

٢٠. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، (ت:٩١١هـ): **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٥م.

٢١. شرف الدين، أحمد حسين: **لهجات اليمن قديماً وحديثاً**، مطبعة البجلاوي، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢٢. الشريف، أحمد إبراهيم: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–**، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٣. الصالح، صبحي: **دراسات في فقه اللغة**، ط١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٤. أبو الطيب، عبدالواحد بن علي (ت:٣٥١هـ): **الإبدال**، تحقيق: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.

٢٥. عبدالتواب، رمضان: **فصول في فقه العربية**، ط٦، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٦. عبدالتواب، رمضان: **لحن العامة والتطور اللغوي**، (د.م)، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٧. عبدالعزيز، محمد حسن: **مدخل إلى علم اللغة**، ط٢، دار النمر للطباعة، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٨. عطية، نوال محمد: **علم النفس اللغوي**، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٩. علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

٣٠. عيد، محمد: **المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١م.

٣١. فرستيغ، كيس: **اللغة العربية (تاريخها ومستوياتها وتأثيرها)**، ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٢. فريحة، أنيس: **محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها**، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٥م.

٣٣. فيشر، فولد يتريش: **دراسات في العربية (أصولها – مراحلها التاريخية– بنيتها – لهجاتها – علاقاتها بأخواتها الساميات)**، نقلها إلى العربية وعلق عليها: سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٤. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت:٧٧٠هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٥. القفطي، علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٦. القلقشندي، أحمد بن علي (ت:٨٢١هـ): **قلائد الجمان**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣٧. القلقشندي: أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ): **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٥٩م.

٣٨. كشك، أحمد: **اللغة والكلام أبحاث في التداخل والتقريب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣٩. أبو مِسْحَل، عبدالوهاب بن حَريش: **كتاب النوادر**، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.

٤٠. المطلبي، غالب فاضل: **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحَّدة**، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م.

٤١. المغربي، يوسف (ت: ١٠١٩هـ): **دفع الإصر عن كلام أهل مصر**، تحقيق: السيد إبراهيم سالم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة.

٤٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:٧١١هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٣. الميداني، أحمد بن محمد (ت: ٥١٨هـ): **مجمع الأمثال**، تحقيق: نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٤. النجار، عبدالحليم: "**في القراءات القرآنية**"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، الجزء الأول.

٤٥. هلال، عبدالغفار حامد: **اللهجات العربية نشأة وتطوراً**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤٦. الهمداني، الحسن بن أحمد (ت: ٣٣٤هـ): **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن عبدالله النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣م.

٤٧. ولفنسون، أبو ذؤيب، **تاريخ اللغات السامية**، دار القلم، بيروت.

٤٨. ابن يعيش، يعيش بن علي (ت: ٦٤٣هـ)، شرح **المُفصل**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.